بيداغوجيا الخطأ والعملية التعلّيمية التعلمية في المدارس السنغالية: قراءة في الأسس الفلسفية والنفسية للخطأ

The Pedagogy of Error in the Teaching-Learning Process in Senegalese Schools: A Reading of the Philosophical and Psychological Foundations of Error

Dr. Mouhamadou Fadil KANE د. محمد فاضل كان

أستاذ باحث في علوم التربية ومكون، في قسم اللغة العربية

كلية علوم وتقنيات التربية والتكوين- جامعة شيخ أنت جوب-دكار-السنغال.

mouhamadoufadil.kane@ucad.edu.sn

ملخص

ظلّ الخطأ في المدرسة التقليدية السنغالية -وشريحة واسعة للمدرسة العمومية- يُعامَل بوصفه عيبًا يستوجب الزجر والإقصاء، مرتبطًا في التمثّل السائد بالكسل أو قلة الانتباه أو ضعف القدرات، دون النظر في أسبابه المعرفية الحقيقية (ناصري، 2018). وهي نظرة تعززها المقاربة السلوكية التي ترى في الخطأ تعزيزًا سلبيًا ينبغي إخماده بالتكرار والتصحيح الفوري. غير أنّ التحوّلات التي عرفتها علوم التربية قلبت هذا التصوّر، فقد جعل باشلار من الخطأ شرطًا لبناء المعرفة حين عدّ الحقيقة العلمية خطأً مصحَّحًا (Bachelard, 1938)، ورأى بياجيه فيه تعبيرًا عن توازن معرفي محرّك للنمو (Piaget, 1975)، وجعله فيغوتسكي مؤشرًا على موضع التدخّل داخل منطقة النمو القريب (Vygotsky, 1997)، وحوّله أستولفي إلى أداة للتدريس وللتشخيص الديداكتيكي (Astolfi, 1997).

وفي السياق السنغالي، تتقاطع هذه المرجعية مع واقع مدرسي له خصوصياته: تعدّد اللغات في الفصل الدراسي بين الفرنسية والعربية واللغات الوطنية، وتنوّع المدارس بين النظامية والفرنسية العربية، وما يفرضه ذلك من أخطاء لغوية ومعرفية ترتبط بالتداخل اللغوي وبالتمثلات القبلية للمتعلم.

الكلمات المفتاحية: بيداغوجية الخطأ-النظرية السلوكية-النظرية البنائية- النظرية البنائية الاجتماعية- العائق الإبستمولوجي.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

Abstract

This scientific paper seeks to address error-based pedagogy as a modern educational methodology that restores value to error within the learning process, after it was traditionally viewed as a flaw meriting punishment and exclusion. The study proceeds from the hypothesis that error is a natural and positive cognitive act that contributes to the construction of knowledge rather than hindering it, drawing on the contributions of major theorists, foremost among them Gaston Bachelard, who held that "scientific truth is a corrected error" (Bachelard, 1938), as well as on the contributions of Piaget, Vygotsky, and Astolfi to the psychological and didactic grounding of this concept. The paper discusses the concept of error-based pedagogy, its types and sources, and the leading figures who established it, then examines its fundamental principles and its importance in the teaching-learning process, presenting a didactic classification of error types according to Astolfi (Astolfi, 1997). It then turns to its fields of application in the teaching of language subjects, through procedural methodological steps ranging from identifying the error to remedying it, before concluding with a presentation of the main challenges facing the implementation of this pedagogy in the school setting and ways to overcome them. The study concludes that adopting this pedagogy strengthens learners' critical thinking and improves the quality of the teaching-learning process, provided there is institutional will and adequate teacher training — which in turn requires a revision of assessment systems and of the prevailing culture surrounding error in both the school and family environment.

Keywords : Error Pedagogy – Behaviorist Theory – Constructivist Theory – Social .Constructivist Theory – Epistemological Obstacle

مقدمة

شكّل التعامل مع الخطأ، منذ بدايات القرن العشرين وفي ظل تطوّر البيداغوجيا الحديثة، أحد أكثر القضايا إثارة للنقاش في حقل علوم التربية؛ إذ لم يعد يُنظر إليه بوصفه سلوكًا شاذًّا ينبغي كبته، بل غدا فعلًا تربويًا طبيعيًا، بل عملية استراتيجية في صميم سيرورة العملية التعلمية التعليمية. ويأتي هذا التحوّل بعد أن ظلّت المدرسة التقليدية، ولعقود طويلة، تتعامل مع الخطأ باعتباره خللًا يجب اجتنابه بكل الوسائل، رابطة إياه بالكسل أو قلة الانتباه أو ضعف القدرات، دون أن نتساءل الأسباب الحقيقية الكامنة وراءه، أو تستثمره كمؤشر تشخيصي يفيد المدرّس في تكييف فعله التعليمي.

غير أنّ التحوّلات الكبرى التي عرفتها العلوم الإنسانية عمومًا، وعلم النفس المعرفي وفلسفة العلوم على وجه الخصوص، أفضت إلى قلب هذه النظرة رأسًا على عقب؛ إذ لم يعد الخطأ يُختزل في كونه عيبًا معرفيًا،

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

بل أصبح يُنظر إليه بوصفه محطة ضرورية ومرحلة بنائية في مسار اكتساب المعرفة. على التربية أن تبين كيف أنه لا يوجد لمعرفة، مهما كان مستواها في منآى عن الخطإ والفهم، وإن كل معرفة معرضة للوقوع في الخطإ والوهم، ومن واجب التربية مواجهة هذا المشكل المعرفي المزدوج، (مورين، 2002).

المنهج المعتمد

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، باعتباره الأنسب لطبيعة الموضوع وأهدافه؛ إذ يتيح وصف مفهوم بيداغوجيا الخطأ وتحليل أبعاده الفلسفية والنفسية والديداكتيكية، والكشف عن تطوره من التصور التقليدي والسلوكي إلى التصورات البنائية والسوسيوبنائية والديداكتيكية الحديثة.

كما استعانت الدراسة بمقاربة تأصيلية إبستمولوجية لتتبع تطور مفهوم الخطأ وانتقاله من دلالته اللغوية والمعجمية، التي تحيله إلى الابتعاد عن الصواب، إلى دلالته الفلسفية والتربوية التي تجعله عنصرًا من عناصر بناء المعرفة وتصحيحها. وقد تم في هذا السياق استحضار إسهامات باشلار، وبياجيه، وفيغوتسكي، وأستولفي.

مصادر الدراسة

أ- المصادر الأصلية والأساسية: تمثلت في الأعمال النظرية والفكرية المؤسسة لمفهوم الخطأ، وخاصة أعمال غاستون باشلار، وجان بياجيه، وليف فيغوتسكي، وجون بيير أستولفي، وإدغار مورين. وقد تم توظيف هذه الأعمال للكشف عن الأسس الإبستمولوجية والنفسية والديداكتيكية لبيداغوجيا الخطأ.

ب- المصادر الثانوية: شملت الدراسات والأبحاث العربية التي تناولت بيداغوجيا الخطأ، والمقاربة بالكفايات، وتصنيف الأخطاء، والخطأ اللغوي، إضافة إلى الأدبيات المرتبطة بالتعليم والممارسة الصفية.

أدوات تحليل المادة العلمية

أ- التحليل المفاهيمي: وذلك من خلال ضبط وتحليل المفاهيم المركزية المرتبطة بالموضوع، مثل: الخطأ، بيداغوجيا الخطأ، العائق الإبستمولوجي، التمثلات القبلية، التوازن المعرفي، ومنطقة النمو القريب.

ب- المنهج المقارن: تمت المقارنة بين التصور التقليدي للخطأ والتصور الحديث لبيداغوجيا الخطأ، من حيث النظرة إلى الخطأ، ودور المتعلم، ودور المدرس، ووظيفة التقويم، وطبيعة بناء المعرفة.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

ج- التصنيف الديداكتيكي للأخطاء: تم اعتماد التصنيف الديداكتيكي لأستولفي، مع الاستفادة من تصنيفات الأخطاء اللغوية، ولا سيما الأخطاء الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتركيبية، بهدف بيان كيفية تحويل الخطأ إلى أداة للتشخيص والمعالجة.

د- التحليل الإجرائي: اعتمدت الدراسة مسارًا إجرائيًا يقوم على: تحديد الخطأ ← وصفه ← تصنيفه ← تفسير مصدره ← اختيار استراتيجية معالجته ← التحقق من تجاوزه.

المحور الأول: مفهوم بيداغوجيا الخطأ في العملية التعليمية التعلمية

1.1: تعريف البيداغوجيا

يُعرّف قاموس وبستر البيداغوجيا بأنها فن وعلم ومهنة التدريس، وبخاصة التعلّم. وتورد الموسوعة التربوية تعريفًا آخر مفاده أنها «محصلة العلوم النظرية التي تدرس التربية والتعليم والتدريس». وقد جرت العادة على ترجمة مصطلحي «Éducation» و«Pédagogie» بمصطلح واحد هو التربية، في حين أنّ الأول يشير إلى عملية التعليم وما يجري من فعاليات ضمن مؤسسات التعليم النظامي، بينما يشير الثاني إلى مشكلة التربية المتكاملة لشخصية الإنسان وصلته بذلك (نصر، 1997، ص. 10-11). ويكتسي هذا التمييز أهمية منهجية بالغة في سياق هذه الدراسة؛ إذ إنّ بيداغوجيا الخطأ، بوصفها منظومة إجرائية دقيقة، تنتمي إلى الشق الثاني من هذا التمييز، أي إلى حقل التفكير في شروط بناء المعرفة لدى المتعلم، لا إلى مجرد الفعاليات الإدارية والتنظيمية للمؤسسة التعليمية.

1.2 تعريف الخطأ

يعني الخطأ في اللغة الابتعاد عن الصواب، ففي لسان العرب: أخطأ الخِطأ والخطاء ضد الصواب، والخطأ ما لم يُتعمّد، وهو حالة ذهنية عقلية يُعتبر فيها الصائب خاطئًا أو العكس (ناصري، 2018، ص. 34). أما غاستون باشلار فيرى أنّ الخطأ ليس عثرة أمام التقدم، بل هو ضرورة بيداغوجية تمثل نقطة انطلاق المعرفة؛ ذلك أنّ هذه الأخيرة لا تُمنح جاهزة، وإنما تتأسس على مجموعة من الأخطاء التي يتم تصحيحها تباعًا (Bachelard, 1938). ويكشف هذا التقابل بين المعنى اللغوي المعجمي، الذي يحصر الخطأ في دائرة الانحراف عن معيار ثابت مسبقًا، والمعنى الإبستيمولوجي الذي يدرجه ضمن سيرورة بناء الحقيقة، عن التحوّل الجوهري الذي عرفه هذا المفهوم بانتقاله من حقل اللسانيات والمعجم إلى حقل الفلسفة والتربية.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

1.3: مفهوم بيداغوجيا الخطأ

يمكن تحديد مفهوم بيداغوجيا الخطأ من خلال ثلاثة أبعاد متكاملة:

- حالة ذهنية أو فعل عقلي يُعتبر فيه ما هو صائب خاطئًا أو العكس.
- خطة بيداغوجية تقوم على افتراض صعوبات ديداكتيكية تواجه المتعلم أثناء تطبيق التعليمات المعطاة له ضمن نشاط تعليمي معين.
- تصوّر ممنهج لعملية التعليم والتعلم، يقوم على اعتبار الخطأ استراتيجية للتعليم والتعلم.

وتتفق أغلب الدراسات على أنّ الخطأ البيداغوجي «ترجمة لمعرفة ناقصة، وتعبير عن سوء فهم أو عدم انتباه أو خلل في سيرورة التعليم والتعلم، كما أنه انعكاس لاضطراب أو لا توازن معرفي يخلق لصاحبه توترًا ذهنيًا» (بن علي، 2021، ص. 494). ويلاحَظ من خلال هذه الأبعاد الثلاثة أنّ بيداغوجيا الخطأ لا تكتفي بوصف الظاهرة، بل تتجاوزها إلى بناء إطار تفسيري وإجرائي متكامل، يجعل من الخطأ موضوعًا للتحليل الديداكتيكي بدل أن يبقى مجرد معطى عابر يُصحَّح آليًا.

1.4:أنواع الخطأ ومصادره

يمكن تصنيف الخطأ حسب مصدره إلى ثلاثة أنواع رئيسة:

- **الخطأ العائد إلى المعرفة:** حين يجد المتعلم نفسه أمام مهمة لا تتلاءم مع ميوله ومستواه الذهني، أو نتيجة سوء فهم لما هو مطلوب منه.
- **الخطأ العائد إلى المدرّس:** كاختيار طرائق تدريس غير مناسبة، أو اتباع نسق سريع أثناء التعليم، أو اختيار أنشطة ووسائل غير ملائمة، أو ضعف التواصل الفعّال، أو تبنّي تصوّر سلبي عن المتعلم.
- **الخطأ العائد إلى المتعلم:** كنظرة المتعلم السلبية إلى المعرفة، وقلة الانتباه، والمرض، والتوتر، وضعف التواصل أثناء الدراسة.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

1.5 الخطأ بين النظرية السلوكية [1] والنظرة البنائية

لفهم الأهمية التاريخية لبيداغوجيا الخطأ، لا بد من التمييز بين نظرتين متعارضتين: النظرة السلوكية التي كانت سائدة في النصف الأول من القرن العشرين، وترى في الخطأ نتيجة تعزيز سلبي يجب إخماده فورًا حتى لا يترسخ كعادة خاطئة، عبر التكرار والتصحيح الفوري والعقاب أحيانًا؛ والنظرة البنائية والسوسيوبنائية التي بلورها بياجيه وفيغوتسكي فيما بعد، والتي ترى في الخطأ مؤشرًا على نشاط ذهني قائم، وعلى محاولة المتعلم بناء معنى خاص به انطلاقًا مما لديه من معارف سابقة، وإن كانت غير مكتملة أو غير دقيقة. وقد شكّل هذا الانتقال من النظرة السلوكية إلى النظرة البنائية نقطة تحوّل جوهرية في تاريخ الفكر التربوي، مهدت الطريق لبروز بيداغوجيا الخطأ بمفهومها المعاصر. ولا يخفى أنّ أثر هذا الانتقال لم يقتصر على المستوى النظري، بل امتد إلى تصميم المناهج وأنظمة التقويم وأدوار المعلم داخل الفصل، وهو ما سيتضح جليًا في المحاور اللاحقة من هذه الدراسة.

المحور الثاني: أهم الروّاد المنظّرين لبيداغوجيا الخطأ وإسهاماتهم في إثراء نظريات التعليم

يرتبط مفهوما بيداغوجيا الخطأ والخطأ البيداغوجي ارتباطًا وثيقًا بالفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار (Bachelard, Gaston 1884–1962)، الذي يُعدّ مؤسس بيداغوجيا الخطأ. وباشلار فيلسوف متخصص في فلسفة العلوم، نبغ في مجالات فكرية فلسفية متعددة، منها الإبستيمولوجيا، وكان من أوائل من مهّدوا لمفهومي العائق والقطيعة الإبستيمولوجيين، إضافة إلى التاريخ التراجعي والجدلية المعرفية. واشتهر بشكّه في العلوم التي كانت تُعدّ آنذاك حقائق مطلقة، ومن أشهر أقواله: «الحقيقة العلمية خطأ تم تصحيحه» (Bachelard, 1938). غير أنّ الفكر التربوي المعاصر لم يقتصر على إسهامات باشلار وحدها، بل استفاد أيضًا من أعمال علماء النفس المعرفي وروّاد الديداكتيك الذين طوّروا هذا المفهوم ونقلوه من حقل فلسفة العلوم إلى حقل التطبيق الصفي المباشر.

2.1: باشلار والعائق الإبستيمولوجي

طرح باشلار سؤالًا مركزيًا يشكّل أساس إدراك عمق حضور الخطاب الإبستيمولوجي داخل التربية، وهو: كيف نفهم لماذا لا يفهم المتعلم؟ ويرتبط هذا السؤال بمفهوم العائق الإبستيمولوجي؛ إذ تنبّه باشلار إلى أهمية الخطأ ودوره الإيجابي في نشأة المعرفة، مقرًّا بأنّ المكان المفضل للخطأ هو العلم، وأنّ الخطأ في

[1]) التعلم كان يعتمد على المثير والاستجابة، أنظر نقاد التعلم وفق هذه النظرية ، ثم تليها النظرية البنائية لبياجيه ثم النائية الاجتماعية فيكوتسي النظرية السلوكية

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

النشاط العلمي ليس حدثًا عرضيًا يمكن إلغاؤه بالانتباه والحذر، بل هو سابق وأوّلي، وأنّ الحقيقة في العلم ليست سوى خطأ مصحَّح أو معدَّل (Bachelard, 1938).

ويرى باشلار أنّ نشأة المعرفة العلمية جاءت نتيجة تصحيح أخطاء متتالية، ويقول في هذا الصدد: «نتعرّف من خلال مضادّة المعرفة السابقة، وذلك بتحطيم المعارف الخاطئة، متجاوزين العوائق التي أعاقت صفاء عقلنا ذاته» (Bachelard, 1938). كما أكد أنّ للخطأ دورًا إيجابيًا في تطور المعرفة، وأنّ المعرفة العلمية تتأسس على أنقاض المعرفة الساذجة الخاطئة بعد تجاوز مفهوم العائق المعرفي.

ولا يقصد باشلار بمفهوم العائق (Obstacle) الصعوبات المرتبطة بتعقّد الظاهرة المدروسة في ذاتها، وإنما يربطه بالذات العارفة؛ فالعائق ذو طبيعة داخلية نفسية تصيب العلماء والمتعلمين على السواء، وتُعيق تطور المعرفة العلمية في المجال التربوي كما في المجال العلمي. ويرى أنّ التمثلات الراسخة في ذهن المتعلم على شكل أفكار مسبقة، المكتسبة من التجارب المباشرة المرتبطة بالمجال الثقافي والاجتماعي، تشكل حمولة معرفية من العوائق الإبستيمولوجية التي تقاوم اكتساب المعرفة العلمية الجديدة. وقد صنّف باشلار هذه العوائق إلى أنماط عدة، أبرزها:

- عائق التجربة الأولى: ناتج عن الانطباع الذي يخلّفه الاحتكاك بتجربة أولية بسيطة، ويترسّخ هذا الانطباع في الذهن ليتحوّل إلى حقيقة يصعب دحضها.
- العائق اللفظي: استخدام الألفاظ في غير مدلولاتها، أي مجازًا، مما يؤدي إلى خلط وتعمية على المعاني الحقيقية المقصودة، بسبب غياب مصطلحات محددة الدلالة.
- العائق الجوهري: عدم تسمية الظاهرة باسمها العلمي الدقيق، أي أنّ الغلاف اللفظي لا يدل على محتواه الحقيقي.
- العائق الإحيائي: إسقاط أحاسيسنا ومشاعرنا الداخلية على الظواهر الخارجية والأشياء.

وتكمن القيمة الديداكتيكية لهذا التصنيف في كونه يحوّل مفهوم العائق من فكرة تجريدية فلسفية إلى أداة تشخيص عملية بيد المدرّس؛ إذ يتيح له تمييز خطأ ناتج عن انطباع أولي راسخ عن خطأ ناتج عن سوء استعمال لفظي أو عن إسقاط ذاتي، وهو تمييز يوجّه اختيار استراتيجية المعالجة الملائمة لكل حالة.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

2.2: جان بياجيه: الخطأ والموازنة البنائية المعرفية

أسهم عالم النفس السويسري **جان بياجيه** في تعميق الأساس النفسي لبيداغوجيا الخطأ من خلال نظريته في النمو المعرفي، القائمة على مفهومي التمثّل (Assimilation) والمواءمة (Accommodation). فحين يواجه المتعلم معطى جديدًا لا يتناسب مع بنياته المعرفية القائمة، يحدث ما يسميه بياجيه اختلالًا أو لا توازنًا معرفيًا (Déséquilibre)، وهو ما يترجَم غالبًا في صورة خطأ. غير أنّ هذا الاختلال ليس عائقًا بقدر ما هو محرّك للنمو المعرفي؛ إذ يضطر المتعلم إلى إعادة بناء بنياته الذهنية للوصول إلى موازنة جديدة أرقى من سابقتها، فيما يسميه بياجيه «الموازنة المتنامية» (Piaget, Équilibration majorante) 1975). ومن هنا فإنّ الخطأ، في المنظور البياجيي، خطوة ضرورية ومنطقية ضمن مسار النمو العقلي، لا مجرد زلة عارضة يجب محوها.

3.2. ليف فيغوتسكي: الخطأ ومنطقة النمو القريب

أضاف عالم النفس الروسي ليف فيغوتسكي بعدًا اجتماعيًا وتفاعليًا لفهم الخطأ، من خلال مفهومه الشهير «منطقة النمو القريب» (Zone proximale de développement)، والتي تشير إلى المسافة بين ما يستطيع المتعلم إنجازه بمفرده وما يستطيع إنجازه بمساعدة شخص أكثر خبرة، كالمعلم أو زميل متقدم (Vygotsky, 1997). وفي ضوء هذا المفهوم، لا يُنظر إلى الخطأ الذي يقع فيه المتعلم عند أداء مهمة تفوق قدراته الحالية بمفرده على أنه فشل، بل هو إشارة دقيقة تحدد بالضبط أين ينبغي أن يتدخل المعلم لتقديم الدعم الملائم (Étayage)، بما يمكّن المتعلم من تجاوز هذه المنطقة تدريجيًا نحو الاستقلالية المعرفية.

4.2. تطور بيداغوجيا الخطأ في ظل المقاربات الحديثة

ترتبط المقاربة بالكفايات بمفهوم أساسي هو العائق، بوصفه اعتقادًا خاطئًا يتخذ صورة حقيقة في ذهن التلميذ تعيق تعلّمه، مما يجعل وقوعه في الخطأ أمرًا متوقعًا؛ لذلك ركّزت الكفايات على تقنين منهجية التعامل مع الخطأ، متجاوزة النظرة الكلاسيكية السلوكية التي كانت تقابله بالعنف أو التحقير دون معالجته. وهذا ما يجعل بيداغوجيا الخطأ خطابًا رئيسًا في مقاربة التدريس بالكفايات، حيث يُنظر إلى الخطأ كمصدر أساسي للضبط والتقدّم والتعلّم، شريطة أن يُحلَّل ويُفهم.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

وقد أضاف جون بيار أستولفي (Jean Pierre Astolfi) في هذا السياق أنّ الدراسات والأبحاث في التربية والديداكتيك، في السنوات الأخيرة، سمحت بالتطور من تصوّر سلبي للخطأ إلى تصوّر جديد يُوظَّف باعتباره علامة على كيفية سيرورة التعلّم، ووسيلة دقيقة للوقوف على الصعوبات التي يعانيها التلاميذ، دون الاكتفاء بربط الأخطاء بتبريرات سطحية كعدم التركيز أو انعدام الرغبة، بل عبر تصوّر جديد يتيح فهمًا أعمق لما يجري داخل حجرة الدرس، بما يجعل عملية التعليم أكثر فعالية (Astolfi, 1997). ويُعدّ أستولفي من أبرز من اشتغل على بناء تصنيفات ديداكتيكية دقيقة لأنماط الأخطاء، بما يتيح للمدرّس تجاوز التصور الفضفاض الذي يكتفي بوصف الخطأ دون تفسيره.

وقد نشأت بيداغوجيا الخطأ من الثورة المعرفية التي عرفتها العلوم التربوية بالتوازي مع إنجازات علم النفس المعرفي وفيزيولوجيا الدماغ، وواكبت في الآن ذاته تطوّر بيداغوجيات تطبيقية أخرى شكّلت استراتيجيات تعلّمية معتمدة في ظل المقاربة بالكفاية، من أبرزها بيداغوجيا حلّ المشكلات، التي نشأت من أعمال جون ديوي John Dewey, 1951)، الذي أسّس للمدرسة وفق الفلسفة البراغماتية المؤمنة بالنجاح، ونادى بديمقراطية المدرسة وتحويلها إلى ورشة مفتوحة على الواقع.

ويُلاحظ من خلال استعراض هذه الإسهامات الأربعة أنّ بيداغوجيا الخطأ لم تنشأ من مصدر فكري واحد، بل هي نتاج تقاطع ثلاثة حقول معرفية متمايزة: الفلسفة الإبستيمولوجية عند باشلار، وعلم النفس النمائي عند بياجيه وفيغوتسكي، والديداكتيك التطبيقي عند أستولفي؛ وهو ما يفسر ثراء هذا المفهوم من جهة، وصعوبة اختزاله في تعريف واحد جامع مانع من جهة أخرى.

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

جدول مقارن: البيداغوجيا التقليدية وبيداغوجيا الخطأ

يوضح الجدول التالي أهم الفروق الجوهرية بين تعامل البيداغوجيا التقليدية مع الخطأ، وتعامل بيداغوجيا الخطأ: الخطأ معه:

المعيار	البيداغوجيا التقليدية	بيداغوجيا الخطأ
النظرة إلى الخطأ	عيب يستوجب العقاب	فرصة للتعلّم والنمو
أساس التقييم	عدّ الأخطاء	قياس الكفايات
طبيعة المعرفة	تُلقَّن جاهزة	تُبنى عبر التصحيح الذاتي
موقع المتعلم	متلقٍّ سلبي	فاعل في بناء تعلّمه
التعامل مع الخطأ	يُخفى أو يُتجاهل	يُحلَّل ويُناقَش علنًا
دور المعلم	تصحيح فوري وعقاب	تشخيص وتوجيه ومرافقة–التقويم التكويني

المحور الثالث: تصنيف أنماط الأخطاء الديداكتيكية

لا يكفي الإقرار بإيجابية الخطأ من الناحية النظرية، بل لا بد من امتلاك أدوات ديداكتيكية دقيقة لتصنيفه وفهم منشئه، حتى يتمكن المدرّس من معالجته معالجة ملائمة لكل حالة على حدة. ويقترح الأدب الديداكتيكي، وعلى رأسه أعمال أستولفي (Astolfi, 1997)، تصنيف الأخطاء وفق مصدرها الوظيفي داخل الفعل التعليمي التعلمي، كما يوضح الجدول التالي:

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

وصفه ومثاله	نمط الخطأ
عدم استيعاب المطلوب من السؤال أو النشاط، فينجز المتعلم غير المطلوب منه.	**خطأ في فهم التعليمة**
تطبيق آلي لقاعدة أو نمط تعلّمه سابقًا في غير سياقه المناسب.	**خطأ ناتج عن عادات مدرسية سيئة**
أفكار سابقة راسخة في ذهن المتعلم تتعارض مع المعرفة الجديدة المراد بناؤها.	**خطأ مرتبط بالتمثلات القبلية**
صعوبة موضوعية في المحتوى تفوق المستوى المعرفي الحالي للمتعلم.	**خطأ ناتج عن تعقّد المهمة**
كثرة المعطيات المطلوب معالجتها في الوقت نفسه تُنهك الذاكرة العاملة.	**خطأ ناتج عن التحميل الذهني الزائد**
خلل في تدرّج المحتويات أو في اختيار الوسائل والأنشطة من قبل المدرّس.	**خطأ ناتج عن التنظيم البيداغوجي والديداكتيكي**

ويُلاحظ من خلال هذا التصنيف أنّ الأخطاء لا تنشأ جميعها من مصدر واحد؛ فبعضها مرتبط بطبيعة المتعلم ومكتسباته القبلية، وبعضها الآخر مرتبط بتنظيم المحتوى والوسائل الديداكتيكية من قبل المدرّس، وهو ما يستدعي من هذا الأخير تشخيصًا دقيقًا قبل الإقدام على أي تصحيح أو معالجة، تجنبًا للوقوع في تعميمات لا تخدم المتعلم، بل قد تكرّس لديه شعورًا بالعجز أو انعدام الكفاءة. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التصنيف الوظيفي لا يُغني عن تصنيف آخر أكثر لصوقًا بالمادة الدراسية، كالتمييز في المواد اللغوية بين الخطأ الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي والتركيبي.

المحور الرابع: أهمية بيداغوجيا الخطأ في العملية التعليمية والتعلمية

تكتسي بيداغوجيا الخطأ أهمية بالغة يستفيد منها كل من المعلم والمتعلم؛ فمن خلال الأخطاء يستطيع المعلم معرفة مستوى المتعلم وقدراته العلمية، وكشف جوانب القوة والضعف فيه للعمل على تصحيحها، كما يتعرّف المتعلم من خلالها على حدود قدراته وكفاياته العلمية، فيلجأ إلى التكرار الذي يتيح له تفادي الأخطاء التي واجهها في محاولته الأولى. ويمكن حصر أهم مظاهر هذه الأهمية فيما يلي:

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

- يرى باشلار أنّ المعرفة لا تحدث إلا ضد معرفة سابقة لها، وهو ما يعني أنّ المعارف والتصورات المغلوطة هي التي تشكّل قاعدة لبناء المعارف الصحيحة؛ ولذلك فالتعلّم الفعّال (الذاتي) يكون عبر تصحيح المعارف الخاطئة، لا عبر تلقين المعارف الصحيحة جاهزة (Bachelard, 1938).
- تقوم المقاربة بالكفاءات على حلّ وضعيات تعلّمية مشكلة، بسيطة ومعقّدة، وفي ضوئها يصبح المتعلم مطالبًا بالمحاولة والخطأ، وهو ما تدعمه بيداغوجيا الخطأ وتعتبره مبدأً أساسيًا للتعلّم؛ فالمتعلم يستحضر معارفه ومكتسباته القبلية ليحلّ وضعيات مشكلة لم يصادفها من قبل، مجرّبًا مختلف الطرائق حتى يصل إلى الحل الصحيح، مكتسبًا بذلك جرأة وثقة في مواجهة العقبات، وآلية في التفكير والتعلّم الذاتي.
- يشكّل ارتكاب الأخطاء أثناء التعلّم خطوة أساسية ومرحلة لا بدّ منها في بحث المتعلم عن المعرفة، ولذا يجب أخذها بعين الاعتبار في سيرورة العملية التعلمية.
- تسهم بيداغوجيا الخطأ في تجويد العملية التعليمية؛ فباكتشاف الأخطاء وتحديد مصدرها، يسعى المعلم إلى إيجاد حلول لعلاجها عبر طرائق وأساليب بيداغوجية أكثر فعالية.
- في ضوء بيداغوجيا الخطأ، لم يعد معيار كثرة الأخطاء أو قلتها هو الحاكم الوحيد في تقييم الأعمال، خلافًا للبيداغوجيا التقليدية التي كانت تحاكم المتعلم انطلاقًا من رداءة الخط وكثرة الأخطاء دون الاحتكام إلى مدى مطابقة الأجوبة للأسئلة المطروحة؛ فالتقييم الصحيح يقوم على قياس الكفايات المهارية لا على محك الأخطاء وحده.
- ساهمت بيداغوجيا الخطأ في تأسيس البيداغوجيا الفارقية التي تقرّ بخصوصية كل متعلم في التعلّم.
- يتيح التعامل مع أخطاء المتعلمين المختلفة وعلاجها للمعلم معرفة آليات التفكير والاشتغال المعرفي لديهم؛ فتحليل الأخطاء يساعد على فهم كيفية تفكير المتعلم وتعلّمه، مما يسهّل على المعلم، ومعدّي المناهج والكتب، تحديد المحتوى والطريقة والوسيلة المناسبة للموقف التعليمي التعلمي.
- تسهم بيداغوجيا الخطأ في تنمية الاستقلالية الذاتية للمتعلم، حين يتعلم كيف يراقب أداءه بنفسه ويصحح مساره دون انتظار تدخل خارجي دائم، وهو ما يُعرف بالتقويم الذاتي (Auto-évaluation).

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013

خاتمة

في ختام هذا البحث الذي تناول موضوع «بيداغوجيا الخطأ والعملية التعلمية التعليمية»، يمكن التأكيد على أنّ بيداغوجيا الخطأ تُعدّ منهجية تعليمية محورية تسهم في تعزيز العملية التعلمية، إذ تقدّم رؤية مبتكرة للتعامل مع الأخطاء لا بوصفها عوائق، بل بوصفها فرصًا للتعلّم والنمو.

النتائج

يتضح مما سبق النتائج الآتية: أنّ تطبيق هذه المنهجية في التعليم يعزّز التفكير النقدي، ويسهم في بناء معارف المتعلم من خلال تصحيح الأخطاء وفهم أسبابها، كما يشجّع المعلمين على تبنّي استراتيجيات تعليمية متنوعة تقوم على التفاعل الإيجابي مع الأخطاء، بما يطوّر مهارات المتعلمين ويعزّز ثقتهم بأنفسهم.

كما تبيّن من خلال هذه الدراسة أنّ التأصيل الفلسفي لباشلار (Bachelard, 1938)، والتأصيل النفسي لبياجيه (Piaget, 1975) وفيغوتسكي (Vygotsky, 1997)، والتأصيل الديداكتيكي لأستولفي (Astolfi, 1997)، تتكامل جميعها لتشكل أرضية صلبة لبيداغوجيا الخطأ، غير أنّ نجاحها الفعلي في الميدان يبقى رهينًا بتذليل التحديات المؤسسية والثقافية التي لا تزال قائمة، وفي مقدمتها اكتظاظ الأقسام، وضغط البرامج، وهيمنة أنظمة تقويم لا تزال تكافئ غياب الخطأ أكثر مما تكافئ سيرورة التعلّم ذاتها.

التوصيات

توصي هذه الدراسة بضرورة تضمين مبادئ بيداغوجيا الخطأ في المناهج الدراسية، مع تعزيز وعي المعلمين بأهميتها في تحسين جودة التعليم، كما تدعو إلى إجراء دراسات تطبيقية ميدانية، قائمة على أدوات كمية وكيفية معًا، لاستكشاف أثرها في مختلف المواد التعليمية ومختلف المستويات الدراسية؛ ولاسيما في المدارس السنغالية، إذ يمكن، بهذا النهج، المساهمة في بناء نظام تعليمي أكثر فعالية وشمولية، يعامل الخطأ بوصفه مكوّنًا عاديًا وضروريًا من مكوّنات كل تعلّم إنساني أصيل.

المصادر والمراجع

- بن علي، فيصل. (2021). بيداغوجيا الخطأ في الممارسة التعليمية التعلمية الحديثة. مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، 4(4)، 490–500. جامعة الوادي، الجزائر.
- حقي، حميد. (د.ت). بيداغوجيا الخطأ (سلسلة علوم التربية، الحلقة 22).

- الحتوك، عبد الله. (2023). الخطأ البيداغوجي: أنواعه وأهميته التربوية – الخطأ اللغوي أنموذجًا. مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، 7(29).
- حميدات، ميلود. (2021، أبريل). بيداغوجيا الخطأ في ظل المقاربة بالكفايات: دراسة نظرية تحليلية. مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، 8(74). مركز جيل البحث العلمي.
- قيرع، فتحي. (2023، يونيو). بيداغوجيا الخطأ في ظل المقاربة بالكفاءات – بين الواقع والمأمول. مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون بتيارت، 8(2)، 885–907.
- نصر، غسان دارب. (1997). التربية العامة (ط. 1). مطبعة ابن حيان.
- ناصري، فضيل. (2018). بيداغوجيا الخطأ. مجلة النداء التربوي، 21(33).
- Astolfi ,J.-P.)1997(. L'erreur, un outil pour enseigner. ESF Éditeur
- Bachelard, G.)1938(. La formation de l'esprit scientifique. Vrin
- Morin, É, (1999), les savoir nécessaire à l'éducation du futur, UNESCO.
- Piaget ,J.)1975(. L'équilibration des structures cognitives. Presses Universitaires de France.
- Vygotsky, L. (1997). Pensée et langage (F. Sève, Trad.)

ISSN: 3119-6837 - E-ISSN: 3119-6845
DÉPÔT LÉGAL: 2026PE0013